حقيقة النبوة في الإسلام

(دراسة تحليلية في كتب علوم القرآن وتفسيره)

الدكتور: عبد الرحمان تركي
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية – جامعة الوادي

ملخص

تطرقت في هذا المقال إلى تعريف النبوة في اللغة وفي الاصطلاح الشرعي، وبينت أن النبوة اصطفاء وهبة من الله تعالى وليست كسبا، كما بينت أن الإيمان بالأنبياء والمرسلين من أركان الإيمان الأساسية، واستعنت في هذا الموضوع بكتب تفسير القرآن وعلومه، وكتب العقائد.

مدخل:

النبي في اللغة العربية من النبأ وهو الخبر، على وزن فعيل بمعنى مُفعِل مثل نذير بمعنى منذر، وقيل هو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، والنبي المخبر عن الله تعالى، والجمع أنبياء [1]، ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ (النبأ) أو ما يشتق منه:

1 – قوله تعالى: ﴿عمّ يتساءلون عن النبإ العظيم﴾ [2]، قيل عن القرآن، وقيل عن البعث، وقيل عن أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

2 – قوله تعالى: ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾[3] .

3 – قوله تعالى: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ [4] .

ولفظ النبي يكون مهموزا ومشددا، وإذا كان مهموزا فهو من الإنباء وهو الإخبار، وإذا وصف به الرسول فالمراد به أنه المبعوث من جهة الله تعالى، وإذا كان مشددا فإنه يكون من النباوة وهي الارتفاع عن الأرض، وإذا وصف به الرسول فالمراد به أنه المعظم الذي رفعه الله تعالى وعظّمه، والرسول هو الذي يتتابع عليه الوحي من الله تعالى، من رَسَل اللبن إذا تتابع درّه، أو من جاءت الإبل رَسَلا أي متتابعة، وهو (أي الرسول) من الألفاظ المتعدية أي لابد من أن يكون هناك مرسل ومرسل إليه، وإذا أطلق فلا ينصرف إلا إلى المبعوث من جهة الله تعالى دون غيره، وإذا أريد غير ذلك فلابد أن يقيد (5) .

وكل رسول لله عز وجل نبي، وليس كل نبي رسولا له، والفرق بينهما أن النبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله، أو النبي هو من أوحى الله تعالى له بشرع، ولكنه لم يكلف بتبليغه، وأما الرسول فهو من أوحى الله تعالى إليه بشرع، وأُمر بتبليغه (6) .

والنبوة فضل وهبة واصطفاء من الله تعالى لمن يشاء من عباده، يختص لها من يريد من خلقه، فلا تُنال بالكسب ولا بتكلف العبادات واقتحام أشق الطاعات، ولا تدرك بتهذيب الروح وتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الأخلاق، ولا بالوراثة، ولا أثر للذكاء أو النبوغ والعبقرية فيها، ولا تأثير للمجتمع فيها، لا تشبه اتصال الحواس بالمحسوسات ولا العقل بالمدركات العقلية (7) .

ومن الآيات القرآنية المبينة أن النبوة اصطفاء من الله تعالى:

1 – قوله تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ (8) .

2 – قوله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، إن الله سميع

بصير﴾[9].

3 – قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، ءآلله خير أما يشركون﴾ [10].

4 – قوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ [11].

5 – قوله تعالى حول بعض الرسل: ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [12].

6 – قوله تعالى: ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله، الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [13].

ومع هذا يسبق النبوة استعداد فطري، أي أن الله سبحانه هيأ لكل أمة من الأمم التي أراد أن ينعم عليها بنور من عنده، لتستضيء به في حياتها ابتغاء معرفة آياته نبيا له عالمه الخاص، الذي يتناسب مع عمله الذي خُلق له، فإحساسه مرهف وعقله رصين وحلمه واسع وإدراكه ثاقب وصدره رحب ونظراته صائبة، مع همة عالية وأعصاب قوية وجسم صحيح نشيط، يكسوه هيبة من غير صدود عنه من خوف، وجلال مجرد عن كبر وفضاضة[14].

والنبوة في القرآن ليست مقصورة على بقعة معينة من الأرض، ولا على شعب أو بضعة شعوب، بل هي عامة في كل الأمم الماضية، كما في قوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا وخلا فيها نذير﴾ [15]، والوظيفة الملقاة على عواتق الأنبياء المرسلين هي توجيه البشر إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتتبين هذه الوظيفة في قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقّت عليه الضلالة﴾ [16]، وفي قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [17] [18].

ومن الناحية العقلية فالنبوة ضرورية للنوع الإنساني للأسباب الآتية:

1 – يقتضي العقل أن الجنس البشري يفتقر إلى الاجتماع على النظام والصلاح وتحقيق الاستقامة في الحياة، وذلك لا يتحقق إلا بحدود وأحكام يجب أن تكون متلقاة من الله تعالى لا من عباده، لأنه الأعلم بنظام مصالحهم ومواقع منافعهم، فمقتضى العقل أن يكون بين الخلق شرع يفرضه نبي تلقى من الله وحيا وتنزيلا، قال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ (19) (20) .

2 – خُلق الإنسان لا خبر معه عن عوالم الله تعالى، والعوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى، وإنما خبره عن العوالم بواسطة الإدراكات، وكل إدراك خُلق ليطلع الإنسان به على عالم من الموجودات، وإدراك النبوة يطلع به الإنسان على عالم الغيب ، الذي لا تصل إليه الحواس، ولا يقع تحت التجربة، ولا يدرك العقل حقيقته ولا تفاصيله (21) .

ومع ذلك يبقى العقل طريق التصديق والاقتناع وأداة التحقيق والمراقبة، وعن طريقه يتحقق الإنسان صدق ادعاء النبوة، ولذلك كان خطاب الأنبياء للناس ودعوتهم إلى الإيمان بنبوتهم عن طريق العقل وقناعته (22) .

3 – من جحد نبوة أنبياء الله ورسله فقد جحد الخالق وأنكر الحقائق، إذ لا يمكن الإقرار بربوبيته وألوهيته وملكه سبحانه مع تكذيب رسله، فلا يجتمع إنكار النبوة مع الإقرار بالرب تعالى وصفاته، كما لا يجتمع إنكار المعاد واليوم الآخر بالإقرار بوجود الخالق، والنبي صلى الله عليه وسلم إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتعريف بحقوقه على عباده (23) .

4 – بعث الله أنبياءه ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، فمن أجابهم خرج

إلى الفضاء والنور والضياء، ومن لم يجبهم بقي في الضيق والظلمة، ظلمة الجهل وظلمة الهوى وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها، قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب، أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ (24) (25) .

وقد اهتم الفلاسفة في الحضارة العربية الإسلامية بتحليل مسألة النبوة وبيان جوانبها، فالفارابي مثلا يرى أن الإنسان إذا اتصل بالعالم العلوي وبالملأ الأعلى عرف ما وراء الطبيعة وأسرار الكون وما يخفى على الآخرين، والذين يصلون إلى هذه الدرجة عند الفارابي طائفتان، هما:

1- الفلاسفة بالبحث والتأمل وإعمال العقل .

2- الأنبياء بالمخيلة القوية، وهذه أسمى مرحلة يمكن أن يصل إليها بنو البشر (26) .

يقول الفارابي: "ولا يمتنع أن يكون الإنسان إذا بلغت قوته المتخيلة (27) نهاية الكمال، فيقبل في يقظته عن العقل الفعال(28) الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات، ويقبل محاكيات المعقولات وسائر الموجودات الشريفة ويراها، فيكون له بما قَبِله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية، فهذا هو أكمل المراتب التي تنتهي إليها القوة المتخيلة، وأكمل المراتب التي يبلغها الإنسان بقوته المتخيلة "(29) .

أما في القرآن الكريم فالرسول صاحب نبوة ووحي يتلقاه من السماء، ثم هو صاحب دعوة ورسالة يبلغ تعاليمها إلى الناس، ولا يكتم منها شيئا، فالوحي يمثل

صلته بالله، والرسالة تمثل صلته بالناس، قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك﴾ (30) (31)، والرسول هو المثل الأعلى الذي يُقتدى بأخلاقه وأقواله وأعماله، وذلك لأنه يتحلى بالصدق والإخلاص حيث يتماثل سره وعلانيته وباطنه وظاهره، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (32).

والعقائد والمثل والمبادئ التي يحملها الرسول عليه السلام هي من الله تعالى، وليست من ذات الرسول، لذلك تبقى بعد وفاته ولا تموت بموته، قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ (33) (34).

وقد استخدم القرآن تواتر الرسالات السماوية وتواصلها وتكررها بانتظام كدليل عقلي تاريخي يعتمد عليه لإثبات صدق الوحي، نجد هذا في قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ (35)، وفي قوله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ (36) (37)، يقول ابن رشد: "أن الصنف الذي يسمون رسلا وأنبياء معلوم وجودهم بنفسه، وأن هذا الصنف من الناس هم الذين يضعون الشرائع للناس بوحي من الله، لا بتعلم إنساني، وذلك أنه ليس ينكر وجودهم إلا من ينكر وجود الأمور المتواترة " (38).

والوحي النبوي الذي يصل النبي بعالم السماء يختلف عن معاني الوحي الأخرى، فالوحي النفسي الذي يطلق على الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية، أو يطلق على الكشف الوجداني أو المعرفة الباطنة هو إرشاد تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب دون معرفة مصدره(39).

والوحي النفسي أو الإلهام هو معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير، بينما الوحي النبوي يأخذ معنى المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير وأيضا غير قابل للتفكير، والإلهام لا تصحبه أية ظاهرة نفسية بصرية أو سمعية أو عصبية كتقلص العضلات الذي نلحظه في حالة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينتج الإلهام عند صاحبه يقينا كاملا، بل احتمالا أو معرفة يأتي برهانها بعد مجيئها وحصولها، أما يقين النبي فقد كان كاملا، مع وثوقه بأن المعرفة الموحى بها غير شخصية وطارئة وخارجة عن ذاته [40] .

وهذا اليقين في مصدر المعرفة الموحاة لا يجيء مع الوحي نفسه، ولا يؤلف جزءا من طبيعة النبي، بل إنه من عمله الشعوري، كرد فعل طبيعي لهذا الشعور إزاء ظاهرة خارجية [41]، ومادام الوحي ينتقل إلى النبي بطريقة مسموعة أو مرئية، فالنبي يدرك كيف جاءته المعرفة الموحاة، وهو يجدها في نفسه مع تيقنه بأنها من عند الله تعالى، باستثناء فترة بدء نزول القرآن، إذ النبي لم يعرف مصدر الوحي أو جهته، ولم يعهد رؤية الملك جبريل عليه السلام من قبل.

ومن معاني الوحي الأخرى الوحي الغريزي والوحي الفطري، أما الغريزي فيتمثل في الغرائز والرغبات التي غرسها الله في الخلق في أنفسهم وأفئدتهم كإدراك المنافع واجتناب المضار وتدبير المعاش، وهي (أي الغرائز والرغبات) تمثل سننا إنسانية وطبيعية وكونية، يميل الخلق إليها بإلهام من الله تعالى، ولا يحيد عنها أي كائن، قال الله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ [42] [43]

والوحي الفطري يجمع مع الغرائز شعورا فطريا يعود بالإنسان إلى طبيعته وسليقته وما فطره الله عليه، فأم موسى عليه السلام دفعتها غريزة الخوف

والحرص على حياة مولودها إلى إرضاعه، كما دفعها إلهام باطني وغلبة ظن على القلب إلى إلقائه في اليم وهي مطمئنة غير خائفة، قال الله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، ولا تخافي ولا تحزني، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ (44) (45)

إن معاني الوحي تتفق في أنها معارف صائبة يقينية، وردت من الله تعالى للتوجيه والهداية في الحياة الدنيا، إلا أن الوحي النبوي خاص بالأنبياء وهو أكثر يقينية، لذا يجب تلقيه دون تردد، وهو أشد وثوقا وثبوتا ولفتا للأنظار لخروجه عن المعتاد والمألوف لدى البشر .

وقد يذكر لفظ الوحي ويبرز معناه في القرآن لبيان أن محمدا ليس أول من يوحى إليه، أو لأجل تعظيم الفرية على الله وادعاء الاتصال به، أو لتأكيد أن الهداية لا تكون إلا من جهة الوحي المستمد من الله والمنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب﴾ (46)، وقال تعالى: ﴿قل هو نبأ عظيم، أنتم عنه معرضون، ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون، إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين﴾ (47) (48) .

ومن الصفات التي تميز النبي وتحدد أمارات نبوته (49):

1 – صدقه في دعوته وحبّه لأن يتبعها قومه، وخوفه عليهم إن هم نبذوها أن يصيبهم العذاب الأليم، وصبره على أذاهم واستهزائهم .

2– معاناة النبي في تلقيه الوحي في بدايته، وإحساسه بالفزع والخوف والاضطراب بسبب حداثته عليه وجِدّته، وهذه الحالة النفسية المتسمة بالفزع تبين صدق النبي، ذلك أن إلقاء النبإ إليه وتكليفه بالرسالة لم يكونا باختيار منه.

وهو يحس بثقل الأمانة الملقاة على عاتقه، ويحس بوطئها وجسامتها، قال تعالى:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته، والله يعصمك من الناس﴾ [50]، وفي هذا الخطاب أمر من الله لنبيه بإظهار تبليغ جميع ما أنزل إليه، كما هو تأديب له ولحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئا من وحيه، إذ قوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ دليل على نبوته، لأن الله أخبر أنه معصوم، ومن ضمن له العصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئا مما أمره الله به.

3 – كذلك مما يميز النبي أنه يحكم من خلال الوحي المنزل عليه، وبواسطة ما وهبه الله من البصيرة النافذة والذكاء الحاد المتقد يحكم على أحداث المستقبل ووقائعه؛ وتحقق أحكامه المستقبلية يزيد الإيمان به رسوخا وثباتا، وهو لا يطلق هذه الأحكام من باب التمني، وإنما من باب التحدي والإعجاز.

4 – استمرار مظاهر السلوك النبوية وتماثلها الظاهر والخفي عند جميع الأنبياء؛ أي لم يرو أي انقطاع في تواصل السيرة النبوية المتميزة والمتسقة مع تعاليم الرسالة، بل رُوي التماثل بين ظاهر النبي وباطنه، بين سره وعلانيته، ولو كان هناك انفصام بين ظاهر شخصية النبي وباطنها لتوقفت رسالته عن التبشير والإنذار، أو لتحولت عن أهدافها السامية وغاياتها النبيلة.

وبهذه الصفات يتبين الفرق الواضح بين النبي ومدعي النبوة، فمدعي النبوة مادام لا يحمل رسالة ولا يُوحى إليه حقيقة، وبدافع الحفاظ على المكانة التي تبوأها بادعائه النبوة، فهو يساير مجتمعه في عقائده ونظمه وعاداته، بحيث لا أثر له في مجالات العقائد والأخلاق والتشريع، لأنه لا يبشر بمبادئ شخصية ذاتية تواكب ادعاءه النبوة وترتبط به، ويكتفي إما بأن يطنب في شرح رسالة النبي، وإما بأن يبشر بنوع من المعارضة في مقابل رسالة النبي [51].

ومن الحقائق الظاهرية المتجلية والتي أسست الاقتناع بنبوة النبي ورسالته الأعراض الجسمية التي رويت عنه والمصاحبة للوحي كلما نزل، كأن يسمع دويا شبيها بدوي النحل عندما ينطلق من خليته، أو صوتا كصلصلة جرس أو شحوبا مفاجئا يتبعه احتقان في وجهه وتصبب العرق من جبينه، هذه الأعراض تعني أن ظاهرة الوحي مستقلة عن ذات النبي وإرادته، حتى يصبح عاجزا مؤقتا عن أن يغطي وجهه بنفسه وهو يعاني حالة متناهية الإيلام (52)، روى مسلم عن يعلى بن أمية (53) قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة (موضع قريب من مكة) عليه جبة وعليها خلوق (طيب) فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي، قال: وأنزل على النبي الوحي فستر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي وقد نزل عليه الوحي، قال فقال عمر بن الخطاب (54) أيسرك أن تنظر إلى رسول الله وقد أنزل عليه الوحي، قال فرفع عمر طرف الثوب فنظرت إليه له غطيط كغطيط البكر، قال فلما سُري عنه قال: (أين السائل عن العمرة اغسل عنك أثر الخلوق، واخلع عنك جبتك واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجك) (55) .

ومن دلائل نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم (56):

1 – أميته التي حكاها القرآن، وهي أنه صلى الله عليه وسلم ما كان قبل نزول القرآن يكتب أو يقرأ، قال تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ (57) .

2 – اتصافه بالصدق والأمانة بين قومه، قال تعالى: ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله، أفلا تعقلون﴾ (58) .

3 – ابتداء الوحي إليه بالرؤيا الصادقة، حيث كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

4 – ظهور الملك جبريل عليه السلام بصورته الحقيقية في أول نزول للقرآن، وعودة النبي إلى بيته فزعا خائفا يرجف فؤاده، ثم شوقه إلى الوحي بعد فتوره عنه .

روى عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه (وهو التعبد) الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (59) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة ما لي، وأخبرها الخبر، قال: لقد خشيت على نفسي، قالت له خديجة: (كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق)، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: أي عم اسمع من ابن أخيك، قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي ماذا

ترى؟، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى صلى الله عليه وسلم، يا ليتني فيها جذعا يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم؟، قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا .

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا غدا منه مرارا كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدّى له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه، وتقرّ نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا كمثل ذلك، قال: فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك) [60] .

5 – اقتناع النبي بنبوته ورسالته منذ تواصل الوحي وتتابعه وتعرفه على مصدره الإلهي، حيث حصل له البرهان العقلي القاطع أن الوحي لا يصدر عن ذاته، لأنه لو كان يصدر عن ذاته لنطق به كلما أراد، وما جاء في قوله تعالى: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ [61] لا يعني أنه أصيب بالشك فيما أنزل إليه، وإنما المراد بالخطاب غيره من المشركين الذين أنكروا نبوته، رغم اعترافهم بنبوة أنبياء بني إسرائيل والوحي المنزل عليهم .

ثالثا – خاتمة:

وما نصل إليه هو أن الوحي النبوي حقيقة مستقلة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم منفصلة عنها، هذه الحقيقة لا يمكننا معرفة كيفيتها معرفة تفصيلية، لأنها خفية لا تخضع للحس ولا للعقل، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنسان يتصف بها

يتصف به البشر من كونه جسدا يحتاج إلى الطعام والشراب، وله أزواج وذرية، يخالط الناس ويصيبه ما يصيبهم من السرور والحزن والرضا والغضب والسهو والنسيان، ولا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، أُكرم بالنبوة لأنه حقق أرقى مراتب الكمال الإنساني .

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم من خلال أخلاقه العالية وصفاته الكريمة يمثل صورة الإنسان المطيع لله تعالى الممتثل لأوامره والمنتهي عن نواهيه، الذي يعطي لكل ذي حق حقه، والذي يتخير في كل مقام مقالا أو عملا مناسبا، يراعي فيه مصالح الناس في الدنيا والآخرة .

- الهوامش:

1 - ابن منظور: لسان العرب، تنسيق وتعليق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م، ج14، ص 8، 9، والراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق مصطفى بن العدوي، مكتبة فيّاض، مصر، ط2009، ص 609، 610 .

2 - سورة النبإ، 1، 2 .

3 - سورة ص، 67، 68 .

4 - الحجر 49 .

5 - القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، دار الأنيس، الجزائر، ط1990م، ج2، ص 227، 228، وعبد القاهر البغدادي: أصول الدين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1981م، ص 153، 154، وابن منظور: المرجع السابق، ج14، ص 9، ج5، ص 213، 214، والراغب الأصفهاني: المرجع السابق، ص 259 .

6 - عبد القاهر البغدادي: المرجع السابق، ص 154، ومحمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، دار الجيل، بيروت، ط1999، ص 14، وابن منظور: المرجع السابق، ج14، ص 9، ورشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمان الدوري: أصول الدين الإسلامي، منشورات جامعة بغداد (كلية العلوم الإسلامية)، ط4، 1990م، ص 230 .

7 - رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمان الدوري: المرجع السابق، ص 232، 233، ومحمد المبارك: نظام الإسلام (العقيدة والعبادة)، دار الفكر، بيروت، ط1981م، ص 100، ومحمد علي الصابوني: المرجع السابق، ص 10، 12، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1966م، ج15، ص 217 .

8 - النحل 2 .

9 - الحج 75 .

10 – النمل 59 .
11 – آل عمران 33 .
12 – سورة ص، 47 .
13 – الأنعام 124 .
14 – حيدر الجوادي: المعجزة في رسالة إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ص 9 .
15 – فاطر 24 .
16 – النحل 36 .
17 – الأنبياء 25 .
18 – محمد المبارك: المرجع السابق، ص 89، 90، ومحمد علي الصابوني: المرجع السابق، ص 28 .
19 – البقرة 213 .
20 – أبو البركات الأنباري: كتاب الداعي إلى الإسلام، تحقيق سيد حسين باغجوان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1988م، ص 288، ومحمد علي الصابوني: المرجع السابق، ص 9، والقرطبي: المرجع السابق، ج3، ص 30، 31 .
21 – أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تعليق وتصحيح محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية، بيروت، ص 51، 52، 53، ومحمد المبارك: المرجع السابق، ص 84 .
22 – محمد المبارك: المرجع السابق، ص 96 .
23 – شهاب الدين القرافي: الأجوبة الفاخرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986، ص 371، 372 .
24 – النور 39، 40 .
25 – شهاب الدين القرافي: المرجع السابق، ص 380 .
26 – عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1974م، ص 362، 363، ورمزي نجار: الفلسفة العربية عبر التاريخ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م، ص 103، ومحمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2010م، ج1، ص 197 .
27 – القوة المتخيلة هي واحدة وهي في القلب، وهي تحفظ المحسوسات بعد غيبتها عن الحس، وهي بالطبع حاكمة على المحسوسات ومتحكمة عليها، وذلك أنها تفرد بعضها عن بعض وتركب بعضها إلى بعض تركيبات مختلفة، يتفق في بعضها أن تكون موافقة لما حُسّ وفي بعضها أن تكون مخالفة للمحسوس . (أبو نصر الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط4، 1982م، ص 89) .
28 – العقل الفعال (العقل المكلف بعالم الأرض، وهو جبريل عليه السلام في الخطاب الديني): يهب عالم العناصر مختلف الصور التي تظهر فيه من جماد ونبات وحيوان وإنسان، لذلك أطلق عليه اسم واهب الصور، ويسميه الفارابي الروح الأمين وروح القدس وهو آخر سلسلة العقول السماوية (الملائكة)، ونسبة العقل الفعال إلى العقل الإنساني كنسبة الشمس إلى العين، فكما أن الشمس تخرج العين من إبصار بالقوة إلى إبصار بالفعل فكذلك العقل الفعال يجعل العقل مدركا بالفعل بعد أن كان بالقوة . (ألبير نصري نادر: مقدمة كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي، ص 20، ومحمد علي أبوريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار

النهضة العربية، بيروت، ص 255، 256، والجابري: المرجع السابق، ج1، ص 197) .

29 – الفارابي: المرجع السابق، ص 115 .

30 – المائدة 67 .

31 – القرطبي: المرجع السابق، ج6، ص 242 .

32 – الأحزاب 21 .

33 – آل عمران 144 .

34 – القرطبي: المرجع السابق، ج4، ص 222، ومحمد علي الصابوني: المرجع السابق، ص 33، 34 .

35 – المؤمنون 44 .

36 – الأحقاف 9 .

37 – القرطبي: المرجع السابق، ج12، ص 125، ج16، ص 185، والرازي: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، ج28، ص 7 .

38 – ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، ص 216 .

39 – محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1988م، ص 8

40 – مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ص 167، 168 .

41 – ابن نبي: المرجع السابق، ص 172 .

42 – النحل 68 .

43 – القرطبي: المرجع السابق، ج10، ص 133، والرازي: المرجع السابق، ج20، ص 69

44 – القصص 6 .

45 – القرطبي: المرجع السابق، ج13، ص 250، والرازي: المرجع السابق، ج22، ص 51

46 – سبأ 50 .

47 – سورة ص، 66، 67، 68، 69 .

48 – القرطبي: المرجع السابق، ج14، ص 313، 314 .

49 – ابن نبي: المرجع السابق، ص 99، 100، 103، 106، 107، والقرطبي: المرجع السابق، ج6، ص 242، 243، وعبد القاهر البغدادي: المرجع السابق، ص 167، 168، وابن رشد: المرجع السابق، ص 218 .

50 – المائدة 69 .

51 – ابن نبي: المرجع السابق، ص 101، 102 .

52 – ابن نبي: المرجع السابق، ص 181، 182 .

53 – هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي، حليف قريش، صحابي مشهور، مات سنة بضع وأربعين . (ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995م، ج2، ص 340) .

54 – هو عمر بن الخطاب القرشي، ثاني الخلفاء الراشدين، اشتهر بالشجاعة وفتحت في عهده بلاد كثيرة، استشهد سنة 23هـ . (ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ص 511،

512) .

55 – مسلم بن الحجاج النيسابوري: الجامع الصحيح، كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم، دار الفكر، بيروت، ج4، ص 3، 4 . (غطيط: كصوت النائم الذي يردده مع نفسه، البكر: الفتي من الإبل، فلما سري عنه: أي أزيل ما به وكشف عنه) .

56 – ابن نبي: المرجع السابق، ص 186، 187، 190، ومحمد علي الصابوني: المرجع السابق، ص 34، 35، وابن خلدون: لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق رفيق العجم، دار المشرق، بيروت، ط1، 1995، ص 117، وأبوبكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق أبو بكر عبد الرزاق، مكتبة مصر، مصر، ص 44، 203، 204، والقرطبي: المرجع السابق، ج13، ص 351، ج8، ص 320، 321، 382 .

57 – العنكبوت 48 .

58 – يونس 16 .

59 – العلق 1 – 5 .

60 – مسلم: الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، بيروت، ج1، ص 97، 98، وابن كثير الدمشقي (أبو الفداء إسماعيل ت 774هـ): السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ط1983م، ج1، ص 385، 386 .

61 – يونس 94 .